توطئة

في كل صف قمت بالتدريس فيه، سواء لطلاب الحضانات أو الصفوف التمهيدية أو الصفوف العليا، وفي كل سنة، كنت ألحظ وجود طالب ـــ أو طالبة ـــ يحلق خارج السرب متبعاً إيقاعه الخاص. فبينما يتبع معظم الطلاب القطيع الذي ينتمون إليه ويسيرون على خطاه، نجد بعضهم يشذ عن هذه القاعدة مصمماً على القيام بأموره وفق ما يمليه عليه رأيه. هذه القلة المميزة من الطلاب تفكر بطريقة خاصة متفردة لذا فإنهم يعدون خارج السرب.

لقد قرروا أن يخوضوا غمار شيء مميز بالنسبة لهم نتيجة شغف به ـــ كاهتمام (درو) بمعرفة كل شيء عن القطارات، أو ولع (بيج) برياضة التنس، أو شغف (كارولين) بالرياضيات والأرقام، أو كاهتمام (جيرمي) بالحيوانات، أو افتتان (ناثانيال) بالحيوانات المنقرضة من ديناصورات وما شابهها ـــ كان هناك تركيز ما لديهم يقودهم خلال عامهم الدراسي، إلا أن ذلك التركيز لم يعزلهم أو يجعلهم غرباء عن باقي رفاق صفهم، بل على العكس كان يجعلهم محط أنظار رفاقهم الذين كانوا ينظرون إليهم بصفتهم خبراء في «مجالهم» حتى في الصفوف التمهيدية وصفوف الحضانة. واهتمامات تلك القلة من الطلاب كانت تبدأ عادة معهم كأحلام وخيالات تجول بخاطرهم خلال العام الدراسي ولكنها ما تلبث أن تتحول إلى دوافع ذاتية ودراسات معمقة تستمر معهم طوال حياتهم.

مع مر السنين، أدركت أن الصفة الرئيسة التي يشترك فيها أولئك المميزون لا علاقة لها بعامل الذكاء لديهم ولا بأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ولا بجنسهم ولا بشخصيتهم، وإنما بالدعم الأسري والمدرسي الذي تلقوه. عندما يلاحظ الأهل أو المدرس وجود اهتمام خاص لدى الصغير ويشجعونه عليه، فإنهم بذلك يعززون لديه الثقة بنفسه وتقدير الذات. كما أنهم يجعلونه يحترم ويثمن اهتماماته تلك، الأمر الذي يشكل أساساً لحث الطالب على التعلم والاكتشاف والتعمّق. إن ذلك التشجيع يعطي الثقة للطفل المميز والخاص، ويدفعه بثبات وإصرار قدماً كي يكون الشخص الذي هو عليه.

تؤكد القصص التي أسهم بها العديد من المبدعين في هذا الكتاب على أهمية الدعم الأسري في بناء نجاح الطفل النهائي. من أولئك المبدعين نذكر (نيل ديغراس تايسون) مدير معهد هايدن بلانيتاريوم في نيويورك، الذي تابع تعمقه في شغفه الأول، علم الفلك والنجوم، بفضل دعم والديه. ونذكر أيضاً (سبايك لي) الذي يؤكد على فضل والدته وتوقعاتها وأحلامها بالنسبة له التي كانت عاملاً أساسياً في نجاحه. ويؤكد عدد كبير من المشاركين المميزين في قصصهم وسيرهم الذاتية على فضل الدعم والرعاية الأبوية التي تلقوها خلال مسيرتهم، الأمر الذي يرسخ لدى قارئ هذا الكتاب مدى الدور المهم الذي يؤديه الدعم الأسري الإيجابي في بناء شخصيات الأشخاص المميزين الذين ستقرأ عنهم وفي وصولهم إلى ما هم عليه من نجاح وتميّز.

وفي الواقع، فإنه من الضرورة بمكان تأمين الدعم والتشجيع ليس فقط للأطفال المميزين الذين يغرّدون خارج سربهم وإنما لأهل أولئك

الأطفال أيضاً. فعندما تلاحظ أن طفلك يهتم بأمر ما لا يثير اهتمام باقي أقرانه، أو أن لديه موهبة ما تميّزه عنهم، قد يكون من الصعب عليك احتضان ذلك الاهتمام — أو الموهبة — وتنميته ورعايته بالشكل اللازم. وهنا، يبرز دور هذا الكتاب الذي يقدم لك ولغيرك من الآباء أفكاراً وآراء مختلفة عن أولئك الأطفال الذين يفكرون بطريقة مميزة أثناء نموهم وتقدمهم في العمر، وعن العقبات التي واجهتهم، وكيف تغلبوا عليها ليصبحوا على ما هم عليه الآن. إن القصص الشخصية التي يسردها الكتاب، التي كتبها أشخاص مميزون غيّروا عالمنا أو أضافوا الكثير له بطريقة أو بأخرى، تحمل بين سطورها الكثير من الإلهام وتشجع الأهل وتعطيهم الثقة والإيمان بمقدرات أطفالهم الذين يفكرون بطريقة مختلفة.

من خلال عملي في التدريس، اكتشفت أن تلك الميزات الخاصة الجوهرية التي يمتلكها الأطفال الذين يفكرون خارج السرب هي الوقود الذي يغذي نجاحهم المستقبلي. وقد نصبت نفسي محامياً عن أولئك الأطفال خاصة في المرحلة الباكرة من عمرهم قبل دخولهم المدرسة. واكتشفت أنه في حال وجود موضوع شائق وهادف يرتبط باهتمامات الطفل، فإن لهذا الموضوع حظ وافر في تعليم وإمتاع الطفل. وحالما يجد الأهل، أو المربي، أو المعلّم، أو الطفل هذا الموضوع الخاص والمميز فلن يكون هناك حدود أمام ما يمكن أن يحققه ذلك الطفل. إذا وجدت أن طفلك مولع بعالم الديناصورات، شجعه على الولوج إلى ذلك العالم لسبر أغواره. وسرعان ما ستكتشف أنه سيتعلم الرياضيات والعلوم والقراءة والفنون والموسيقى والمهارات الاجتماعية والنظام أيضاً من خلال دراسة الديناصورات. وبالسماح للأطفال الصغار أن يكونوا على

سجيتهم وأن يتبعوا شغفهم بموضوع ما. فإن الأهل والمعلمين يسمحون لأطفالهم بأن يخطوا خطواتهم الأولى في طريق تحقيق أحلامهم وأن يحققوا أفضل ما بوسعهم.

الجزء الثالث من كتابنا هذا، المصدر: برامج ومغامرات ورحلات مميزة لطفلك من عمر الصبا وحتى الجامعة، عبارة عن مجموعة برامج مقسمة بين صفات وخصائص مميزة. تلك الصفات والخصائص التي ـــ ربما بوجود مساعدة الأهل أو عدم وجودها ـــ تلهم الطفل لتحقيق إنجازات عظيمة. يقدم هذا الكتاب للأهل والأوصياء والمعلمين أدوات جيدة تساعدهم في عملهم. إذ إنه يحتوي بين صفحاته على منجم من المعرفة تساعدك على فتح أقفال الصفات والخصائص المميزة في طفلك، ويساعد كل الأطفال على تحقيق كل ما بوسعهم وفق إمكانياتهم. إذا وجدت أن ابنك محاور قوي أو أن لديه ولع بسماع أخبار عالم السياسة فإن القسم الذي يقع تحت عنوان «القائد، المفاوض، المحاور، صانع السلام» يمكن أن يعطيك فكرة عن أنواع المعسكرات والبرامج التي تصلح لابنك وتفيده في مجال تميّزه. أما إذا كان طفلك مهتماً بالإنسانية وتقديم المساعدة للعالم فإن قسم «الغيري، خادم المجتمع، المصلح، المعلّم» مفيد له بالتأكيد. لا يخبرك كتاب «الأولاد الذين يفكرون خارج المألوف» فقط أنه من الطبيعي والمقبول أن يكون لديك ابن يفكر بطريقة مختلفة، وإنما يخبرك أيضاً أن للطفل المفكر عدة طرق تؤدي إلى احتمال تفوقه وتميّزه على غيره.

لقد كان هدفي الرئيس من خلال مسيرة عملي ـــ أولاً معلمة لتطور الأطفال في مرحلة الطفولة الباكرة، ولاحقاً مستشارة تربوية رئيسة

لكثير من البرامج الناجحة حول خصائص وصفات الأطفال ـــ ثابتاً دوماً؛ ألا وهو توصيل رسالة واضحة تؤكد على أهمية تشجيع وتعزيز الذات عند الطفل. وهذه الرسالة، تعزيز الذات لدى الطفل، هي ما يدور حولها هذا الكتاب. فمن خلال الكتابات المؤثرة لثلاثين مشاركاً كانوا هم أنفسهم أطفالاً يحلقون خارج السرب، ويفكرون بطريقة مختلفة عن أقرانهم، يمكنك أن تحجز لنفسك مقعداً في الصف الأول لمشاهدة أهمية احتضان الذات المتميّزة لدى طفلك.

والأهم من ذلك كله - في رأيي - أن هذا الكتاب يشجعك على النظر من جديد إلى طفلك الذي يحلق خارج سربه. فمع هذه النظرة الثانية ستكتشف صحة ما كنت تشعر به دوماً في أعماقك، ألا وهو أن طفلك طفل مميّز وفريد ومختلف ويتمتع بالتأكيد بخصوصية ما.

إن قراءة هذا الكتاب ضرورة لكل أب وأمّ ومدرّس. فهو سيتيح لك الفرصة لمعرفة كم هو رائع ومتميّز طفلك أو تلميذك. اقرأ صفحات هذا الكتاب واكتشف الدعم والتشجيع والقوة التي ستحتاجها كي تسمح لطفلك بتحقيق أقصى ما بإمكانه. إن هذا الكتاب هو دليلك لتعزيز الذات عند طفلك ولمساعدته على تحقيق إنجازات مذهلة.

د. ماري آن دادكو[

[د. ماري آن دادكو: Dr. Mary Ann Dudko. حصلت على شهادة الدكتوراه في تعليم الطفولة المبكرة وتطور الأطفال وقد درّست على مدى ثلاثين عاماً في مختلف المراحل المدرسية كالحضانات والصفوف التمهيدية والابتدائية بالإضافة إلى دورات خاصة للطلاب في مرحلة التخرج. هي الآن نائبة مدير برنامج تطوير الرضى للمؤسسات التالية: بارني أند فريندز، بوب أند بيلدر، توماس أند فريندز، أجْلينا باليرينا، وكافة الخصائص والميزات التي أنتجتها مؤسسة هيت انترتينمنت HIT Entertainment. وقد ألفت وشاركت في تأليف أكثر من ثلاثين كتاباً لدار بارني للنشر.

obeikandl.com

تمهيد

نستطيع القول: إن كتاب «الأولاد الذين يفكرون خارج المألوف» هو مرجع لكل أب وأم ومعلم، وكل من هو محظوظ بأن يكون لديه طفل فريد ومتميّز في تفكيره أو في روحه أو في شخصيته. فالكتاب يدفع ويلهم أولئك الأشخاص من خلال القصص والسير الذاتية لـ «عباقرة أحياء» — أي الأشخاص الذين حققوا إنجازات عظيمة — التي دلتنا على مصادر التشجيع والمؤازرة التي ساعدتهم على الوصول إلى أوج النجاح والإبداع.

يتألف الكتاب من ثلاثة أقسام؛ حيث يعرفنا القسم الأول على «الأولاد الذين يفكرون خارج المألوف» ويقدم للأهل والمعلمين والمربين الاستراتيجيات والإرشادات اللازمة، ويؤكد على ضرورة احتضان الصفات المميزة لدى الطفل. بعد ذلك يضع هذا القسم الأساس اللازم لاستخراج أقصى ما بداخل هذا الطفل من إمكانيات، هذا الطفل الذي قد يصبح في يوم ما مبدعا بارزا.

أمّا القسم الثاني فيحتوي على إسهامات شخصية لمشاهير يصفون فيها مصادر الإلهام التي مكنتهم من بلوغ المراتب العليا والمكانة التي هم عليها الآن. إن نفاذ بصيرة أولئك المبدعين والرواد تدل على الفرص والاحتمالات غير المحدودة التي يمكن أن تقدمها الحياة.

أما القسم الثالث من الكتاب فهو عبارة عن بنك معلومات، هو بمثابة مرجع لتحديد ومعرفة مواقع برامج مميزة للأطفال الاستثنائيين

obeikandl.com

الذين لا يهتمون بالبرامج التقليدية التي تستهوي غيرهم من الأطفال العاديين. وأنا أقول: إن هذا القسم هو مرجع لأنه يجمع ما بين ميزات المراجع التقليدية ومابين إعطاء وجهات نظر أساسية لتحديد البرامج الخاصة التي ستسهم في نمو وتطور طفلك وتعزز إمكانياته.

وأخيراً وليس آخراً، فإن كتاب «الأولاد الذين يفكرون خارج المألوف» هو لولدي (مورغان) ذي الاثني عشر ربيعاً، عالِم الفلك الصغير، ومصمم وصانع الصواريخ، الذي أخذ أسرتنا إلى كواكب وعوالم لم نكن لنصلها لولاه. إنه طفل رائع «يفكر خارج المألوف».

ستيفاني ليرنر

obeikandl.com

شكر

إن الأشخاص الذين يحيطون بك على طول الدرب هم الذين يجعلون رحلة الحياة ممتعة وذات قيمة ومعنى؛ لذا أود أن أتحدث هنا عن أفراد عائلتي. لطالما أبدت والدتي دعماً غير محدود لي، وشجعني والدي على الاستفادة من ذلك الدعم في متابعة نشاطي الذي تميزت فيه؛ شكراً لكما. لقد مضى على زواج (هارولد وباولا فريوند) نصف قرن تقريباً، وقد علماني أن كل يوم مهم بحد ذاته، وكل يوم له خصوصيته وله قيمته التي يجب أن نقدّرها. لقد تعلمت الكثير منهما ومن الطريقة التي عاشا بها حياتهما.

أود هنا أن أذكر جدتي، (ماتيلدا لوينسكي) التي كانت نموذجاً لدور المرأة قبل أن يكون هذا الأمر شائعاً. لقد دلتني قوتها التي في محلها، وولاؤها لـ«خصوصيتها» وروحها التي تتمتع ببصمة خاصة على الطريق الصحيح. أما جدي، يوليوس لوينسكي، فقد كان الرابط بين عائلتنا وبين ما هي عليه. وأنا أحتذي بهما بصفتهما مثلاً أعلى أستمد منه القوة والحكمة والبصيرة.

كل شكري وامتناني للأشخاص الذين احتضنوا هذا المشروع منذ البداية. أشكر (لوديميلا بلوتش) على تشجيعها وتفاؤلها ومساعدتها. أشكر أيضاً كل المبدعين والناجحين الذين حققوا إنجازات عظيمة على مشاركتهم بسرد قصص نجاحهم في هذا الكتاب، أشكرهم على تخصيص جزء من وقتهم الثمين، وهم في خضم مشاغلهم، ليكتبوا

ويعبّروا عن أفكاركم ويشاركوكم - ولو بشيء بسيط - ما أنتم عليه اليوم.

إن كتاب «الأطفال الذين يفكرون خارج المألوف» هو تحية إجلال للأطفال الذين يتمتعون بإحساس فطري متأصل في ذاتهم والذين يمتلكون شخصية متفردة تتمتع بالموهبة والتميّز المطلوبين لبلوغ النجوم. وأتوجه هنا بشكري لأولئك المعلمين القيّمين الذين لهم دور في حياة أولادي، والذين لحظوا أهمية احتضان ورعاية الصفات المميزة لدى الأطفال الموهوبين، فعملوا ما بوسعهم لإرشادهم ودفعهم إلى الطريق الصحيح.

شكري الخاص وامتناني لزوجي، الذي كان لعمله الدؤوب دون كلل أو ملل من أجل عائلتنا كل الفضل علينا. وشكري أيضاً (لجو تشكلر) أفضل وأكفأ من يمكنه كتابة مثل هذا المشروع. كما أخص (أنيتا جيل) بخالص شكري للعمل الرائع الذي قامت به من بحث وكتابة، وأنا واثقة من أنها ستحقق النجاح في كل عمل تقوم به. وأخيراً أتوجه بشكري وتقديري (للاري دافيدسون) على كل مناقشاته الخلاقة والمفيدة.

(مورغان، تشيلسي) سبنسر، أنا أنطق أسماءكم كل يوم باستمرار، ومع ذلك فإنني كلما أفكر في الأمر لا أصدق أنكم أولادي. إنكم ثلاثة استثنائيون، لكل ابتسامته الخاصة، وقلبه الخاص، ونظرته الخاصة إلى الحياة ـــ استمتعوا برحلتكم، وسيكون لكم شأن عظيم!

ستيفاني ليرنر

مقدمة

من هم الأولاد الذين يفكرون خارج المألوف..؟

إنه الشفق. موسم لعبة السوكر. وهاهو ابني الأكبر ذو الأعوام الثمانية في الملعب في حراسة المرمى. وها نحن في الملعب في مباراة تدريبية في وقت المساء. الملعب مضاء جيداً بأنوار تشع بالتوهج والحرارة على عكس سماء تشرين الثاني الباردة. وهذا هو الأمر: أنا أم لاعب سوكر وابني لاعب سوكر. يا إلهي... إن الكرة تندفع نحوه. إنني سعيدة لأني دفعته لحضور كافة التمارين. أعرف أن الأمر لم يكن سهلاً عليه لأنه لم يكن رياضياً إلى هذه الدرجة. ولكن لا نجاح دون تعب.

أخذت أصرخ بصوت ملؤه الحماسة والتشجيع والأمل لي وله: «مورغان. إنك تستطيع أن تصد الكرة. انتبه. إنها تتجه نحوك». واو... إنه في مكانه الصحيح وهو مستعد للانقضاض على الكرة. ولكن... ما الذي يجري... إنه ينظر إلى السماء لا إلى الكرة. ربما أن لديه خطته الخاصة وهو في هذا العمر. لم أتمالك نفسي وصحت من جديد: «مورغان. انظر إلى الكرة.. انظر إلى الكرة» ورحت أصفق كي أشجعه. كانت الكرة تتجه نحو أرض الملعب باتجاه حارس المرمى. ابني. ومرة أخرى نظر مورغان إلى السماء وليس إلى الكرة. ربما أنه وفي هذه السن يميل للتفكير بالأمور الروحانية وبضرورة الدعاء إلى الله من أجل الفوز. هاهو أحد لا عبي الفريق الآخر يضرب الكرة بقدمه ضربة أخيرة مسدداً إياها باتجاه صغيري مباشرة. وبينما كان مورغان مستغرقاً في

أمر سماوي، عبرت الكرة من بين قدميه مباشرة نحو المرمى مسجلة هدفاً للفريق الآخر.

صحت من مكاني: «ما الذي كنت تفعله؟» وبذلك الوميض في عينيه استدار نحوي وتطلّع إليّ ثم أشار إلى السماء قائلاً: «أنظري يا أمي، أظن أني قد شاهدت نجمتين جديدتين». وهنا أحسست برغبة شديدة في البكاء لا لأننا قد خسرنا المباراة ولا لأن ابني لم يتمكن من الإمساك بالكرة وإنما لأنني اكتشفت أنني أحاول أن أصنع من طفلي الرائع والذكي ذي الميول العلمية شيئاً لم ولن يتمكن من أن يكونه. لقد آن الأوان كي يشعر بالراحة وبالتشجيع لما هو على وشك أن يكونه. ومنذ ذلك اليوم لم ننظر خلفنا أبداً؛ بل قمنا بمتابعة البرامج والنشاطات التي كانت تنمي من موهبته وملكاته وأفكاره. لم نتوقف أبداً عن المتابعة، ولم ندفعه ثانية لأن يكون شيئاً آخر غير ما هو عليه؛ لأننا اكتشفنا أن لدينا طفلاً يفكر بطريقة مختلفة و«يحلّق خارج السرب».

هل الطفل الذي يفكر بطريقة مختلفة عن أترابه و «يحلق خارج السرب» هو الطفل البارع في المواضيع العلمية، أو العبقري في حل مسائل الرياضيات؟ هل هو طفل ذو وجه تختفي ملامحه خلف نظارات سميكة؟ بالتأكيد لا. قد يكون أو لا يكون لهذا الطفل نظارات سميكة، ولكن مما لا شك فيه أن لهذا الطفل إمكانيات غير محدودة، وهو يتمتع بمقدرة عالية على التركيز على المواضيع والمجالات التي تستهويه. ولكن علينا أن ننتبه إلى أن الطفل العادي أيضاً لديه صفات مميزة تجعله «يفكر خارج المألوف» وتميّزه هو الآخر.

لسبب أو لآخر، يرغب الأهل والمعلمون، حتى الذين يحملون أفضل النوايا ويتمتعون بعقلية منفتحة منهم، أن يعيش الأولاد طفولتهم، لأنهم يظنون أنه من الأفضل لصغارهم ـــ الذين يحبونهم جداً ـــ أن يعيشوا طفولتهم ببساطتها وبنقائها وبعلاقاتها البسيطة. وهذا الأمر يحدث مع الطفل الذي يفكر بطريقة متميزة وأحياناً لا يحدث.

عند اتصالي بالسيدة (توري موردن ماكلور) أول امرأة تعبر المحيط الأطلسي بمفردها على زورق تجديف وأول امرأة تصل إلى القطب الجنوبي، تحدثت مع زوجها قليلاً وأخبرته عن نوعية الأطفال الذين أكتب عنهم فأجابني بكلمات كانت كإسفين دقه في ذهني إذ قال: إن الأطفال الذين يفكرون خارج المألوف هم أطفال يتمتعون بتركيز شديد منذ البداية. لقد كان ذلك الوصف رائعاً وصادقاً لأن مثل أولئك الأطفال، إما أنهم يعرفون من هم وما هي اهتماماتهم منذ عمر مبكر، أو أنهم يعرفون قطعاً أنهم لن يكونوا كهذا أو كذاك ـــ وهذه خاصية فريدة في الطفل تدل على وعي قوي وفطري لديه بذاته.

من هم أولئك الأولاد الذين يفكرون بشكل مختلف؟ إنهم ـــ حسب آراء المبدعين الواحد والثلاثين الذين شاركونا بقصصهم وخبراتهم في هذا الكتاب ـــ الأطفال الذين يتمتعون بإرادة وتصميم قويين وولع وشغف باهتماماتهم ومثابرة في العمل على تحقيق أهدافهم إلى أن يبلغوا المستوى الشخصي الذي يريدونه من النجاح.

يمكن أن يكون الطفل الذي يفكر «خارج السرب» لاعب الهوكي الشهير رود جيلبرت Rod Gilbert الذي أصيب بشلل مؤقت وواجه احتمال بتر ساقيه ولكنه تغلّب على تلك المشكلة وحقق حلم حياته

بأن أصبح أفضل لاعب في فريق نيويورك رينجرز للهوكي. وقد يكون ذلك الطفل الاستثنائي فينتون سيرف Vinton Cerf، الذي شارك في وضع أسس الإنترنت؛ أو يكون بريان مارتن Brian Martin الحائز على الميداليتين البرونزية والفضية في الألعاب الأولمبية لعامي 1998 و 2002 (والذي يتطلّع إلى الذهبية في دورة 2006)؛ أو ماريو مولينا Brian Martin الحائز على جائزة نوبل لاكتشافه وجود ثقب في طبقة الأوزون التي تغلف الكرة الأرضية.

إن الطفل الذي نعنيه بكتابنا هذا ليس فقط الطفل الذي يتمتع بميول علمية والذي سيغيّر من خلال إنجازاته في حقل الطب، وإنما هو ذلك الطفل، أو الطفلة، الذي نرى أنه مفكر ممتاز (السوبر). فهذا الطفل يفكر بطريقة فريدة ومميزة فيما يتعلق بسعيه لتحقيق هدفه.

فالرياضية راشيل سكدوريس Rachael Scdoris، ذات الثمانية عشر عاماً، والتي استطاعت التغلب على إصابتها بالعمى لتصبح أفضل مشاركة في سباق أيديتارود الشاق لسباق الكلاب على الزحافة لمسافة 1100 ميل، هي بالتأكيد واحدة من أولئك الذين يحلقون خارج السرب. وكذلك فإن بوب هورماتس Bob Hormats، نائب رئيس شركة غولدمان ساكس انترناشيونال، هو بالتأكيد واحد منهم فقد استطاع تحقيق إنجازات ملحوظة في حقل الخدمات العامة من خلال عمله في القطاع الخاص. وجلّ تركيزه حالياً على تطوير ابتكارات وإنجازات جديدة في عالم المال والأعمال على مستوى العالم. وقد عمل قبل انضمامه إلى غولدمان ساكس كعضو في الهيئة العليا للشؤون الاقتصادية العالمية في مجلس الأمن الدولي والمستشار الاقتصادي

الأكبر للدكتور هنري كيسنجر، وللجنرال برنت سكوكروفت والدكتور زبيغنييف بريجنسكي.

قرأت القصة التي أسهم بها مايك مولان Mike Mullane، أحد العلماء الذين يعملون في ناسا، لشقيقي فكان تعليقه الفوري عليها هو أنه يتمنى لو كان مثل مايك مولان. لقد ذهلت لتعليقه لأنه جراح تجميل جيد وقد كان في الماضي رياضياً شهيراً. فبعد أن أنهى تعليمه الثانوي كتبت عنه إحدى الصحف الشهيرة في نيويورك ممتدحة نشاطاته العلمية والرياضية معاً. كان تركيزه الرئيس منصباً على أن يصبح طبيباً وقد عمل جاهداً لتحقيق هدفه. ولم يكن في طفولته يستمتع بما يستمتع به باقي الأطفال. وأول ما تشاهده عند دخولك إلى غرفته هو تلك اليافطة التي صممها هو كاتباً عليها ما معناه «بدون تعب لن تحصل على شيء». وأذكر أنني عندما كنت أستيقظ في الساعة الخامسة فجراً كنت أجده جالساً وراء مكتبه منكباً على عمل ما له - بالتأكيد - صلة بالهدف الذي كان يسعى إليه.

قلت لشقيقي: «ولكنك أنت نفسك مثله». فأجابني بهدوء: «ربما، ولكني أظن أني أكثر منه حساسية». أعادني قوله هذا لسنوات عديدة خلت إذ تذكرت أنني قرأت مرة تعليقاً له في دفتر يومياته يشكو فيه من صعوبة انسجامه وتأقلمه مع أترابه، وأنه لا يعرف سبيلاً لحل هذه المشكلة. أحسست عند قراءتي لكلماته تلك بأن قلبي يسقط من مكانه وشعرت بالأسف لأجله لذلك أخبرت أمي على الفور بما قرأته فطمأنتني وقالت لي بأنها ستتصرف. فيما بعد، أصبح شقيقي نجماً في السباحة وسط دهشة الجميع وتعجبهم. ومنذ ذلك الحين لم أعد أشعر بالقلق عليه، ولكنني الآن فقط أدركت أن الحياة لم تكن سهلة معه أبداً.

عندما كانت والدتنا تحس بضرورة نقل نظرة ما حول تربية الأطفال كانت تسرد علينا تلك القصة الشهيرة حول السيدة بيركوفيتش مدرّسة أخي في الصف الثاني التي اتصلت بها في أحد الأيام لتخبرها أن أخي يتقدم ببطء وأنه بحاجة لبعض المساعدة في الدراسة. عندما سمعت والدتي ذلك فكرت بأن تخرجه من تلك المدرسة وتضعه في مدرسة خاصة ـــ على حد قولها ـــ إلا أن والدي طمأنها وأخبرها بأنه لا يعاني من أي مشكلة وكل ما في الأمر أن عليهما أن يبذلا بعض الجهد معه. وبالفعل فقد سارت الأمور على ما يرام معه في تلك السنة. وفي السنة التي تلتها حالفه الحظ بوجود معلمتين رائعتين وكانت تلك هي خطوته الأولى في طريق النجاح. هل كان تغيّر المعلمة السبب في تغيير تجربة أخي مع الدراسة؟ هل كان قد بدأ بالنضوج؟ هل يكمن السبب في تعامل الوالدين معه بطريقة مختلفة؟ أم أن تضافر كل العوامل السابقة ـــ وهذا هو الصحيح على الأغلب ـــ هو ما أسهم في تقدمه ونجاحه؟

قد يكون أمثال هؤلاء الأطفال يتمتعون بتركيز مبكر. ولكنهم مع ذلك يبقون أطفالاً. فهم حساسون وبحاجة لتوجيه. كما أنهم هاشون وسريعو التأثر وبحاجة لأن نقبلهم كما هم. وهذا ليس سهلاً - بالطبع - بالنسبة للأهل لأنهم يريدون الأفضل لأبنائهم وقد يكون ما يظنونه الأفضل يفتقد لعلامة أو إشارة ما. إن وجود معلم ـــ أو معلمة ـــ جيد أو قدوة يقتدي بها الصغير قد يغيران حياته لمدة ما؛ أما وجود المعلم الملهم ذي الحدس السليم القادر على اكتشاف الطفل الذي يحلق خارج السرب. «الطفل الذي يفكر خارج المألوف». فإنه قد يغيّر حياة الطفل بالكامل.

تلقيت في أحد الأيام مكالمة هاتفية لا أنساها من السيدة بربارة ليفين، تربوية سابقة وأم لابن يفكر «خارج السرب». قالت لي فيها: «لقد كان مختلفاً عن باقي الأطفال، وكان صعباً جداً لدرجة لم أكن أتوقعها، ولم أعرف كيف أتعامل معه. إنني لست متأكدة ما إذا كنت الأم المناسبة له، فأنا لا أستطيع أن أفهمه. أعرف أنك ستقول أنني سأتمكن من فهمه مع الأيام أو أنه يتوجب عليّ أن أفهمه، فقد كنت معلمة». كانت تتحدث بنبرة مؤثرة ودون توقف «لقد أردت طفلاً كباقي الأطفال لا يختلف عنهم في شيء» ثم أنهت حديثها قائلة بشيء من الحسرة والندم «لو أنني عرفت هذا!» لقد أصبح ميشيل ـــ ابن تلك السيدة ـــ مقاولاً كبيراً ناجحاً في مجال التكنولوجيا.

لمَ أكتب هذا الكتاب؟ إنني أكتبه لأنني أم لولد يفكر بطريقة مختلفة. وأنا شقيقة لأخ ملهَم كان لديه تركيز مبكر. وأنا شخصياً كنت أتمنى بدلاً من بذل الجهد كي أكون واحدة مثل غيري من المجموعة لأكون محبوبة ومقبولة لو أنني صادفت من يشرح لي القيمة الحقيقية والفريدة الكامنة في التعرف إلى مزاياي وصفاتي المختلفة عن الباقين. كم أتمنى لو كان هناك من يخبرني أن عملية تقدير صفاتي المميزة هي حتماً مفتاح نجاحي النهائي على الصعيدين الشخصي والمهني.

هل يملك الأطفال العاديون إمكانيات مختلفة عن أقرانهم؟ بالتأكيد نعم. إننا نبذل أقصى جهدنا كي نجعل أولادنا ينخرطون في المجموعة ويتوافقون معها. فنحن نرعى ونحتضن أوجه الشبه فيما بينهم ونحاول ما استطعنا أن نصقل اختلافاتهم ونقلل منها في الوقت الذي علينا فيه أن نتقبل تلك الاختلافات ونساعد على إبراز وتطوير تلك الصفات

المميزة التي «ستوسع آفاقهم» بلا شك وتحسّن مستقبلهم. إن تربية الطفل الذي يحلق خارج سربه وتحديد الصفات التي تميّزه عن غيره من الأطفال العاديين مهمة شاقة على الأهل ولكنها تستحق العناء دون أدنى شك.

ودليلنا على صحة هذا كافة القصص الشخصية المذكورة في هذا الكتاب التي كتبها أشخاص ناجحون ومبدعون كانوا هم أنفسهم ذوي تركيز مبكر في طفولتهم. فقد ظهرت علامات حبهم وشغفهم بموهبتهم أو بموضوع عليهم باكراً. وهم لم يكونوا كباقي الأطفال العاديين. إن سيرهم مؤثرة وملهمة وبناءة تدفع بقارئها إلى الأمام وتنير الدرب أمامه.

خلال مرحلة تنشئتي لأولادي الثلاثة كنت ألفت انتباههم إلى الأشخاص المتميزين الذين حققوا بعض الإنجازات المدهشة كنماذج عما يمكن للمرء أن يحققه. وما يلهمني في هذا الأمر ويحثني عليه ـــ وهو الأمر الذي أحاول نقله لأولادي ـــ هو وجود عدد كبير من الأشخاص اللامعين والروّاد في العالم. وهؤلاء الرواد ليسوا - بالضرورة فقط - أولئك الأشخاص الذين نقرأ عنهم كل يوم في الصحف والذين بطريقة أو بأخرى غيروا حياتنا، أو الذين واجهوا التحديات التي صادفتهم في هذا العالم وتصدوا لها.

لقد كانت تلك الأساطير الحية المتمثلة بالأشخاص البارزين والمتفوقين مصدر إلهام لي خلال حياتي. صحيح أن مجتمعنا وصحفنا في أغلبها تركز على المشاهير من ممثلات وممثلين وعلى نجوم الروك

وعلى الرياضيين، إلا أن الأمر مختلف بالنسبة لي. فليس هناك برأيي قصة نجاح أعظم من قصة مبتدع الإنترنت ولا أروع من قصة الاكتشاف العظيم للعالم آدم ريس Adam Riess بأن عمر الكون أقدم بخمسة بلايين سنة عما كان مقدراً وأنه يتمدد ولا يتقلص حسب الاعتقاد السائد سابقاً.

يأتي النجاح بكافة الأشكال والأحجام وهذا ما تدل عليه بوضوح قصص «الأساطير الحية» «والرواد المبدعين» الواردة في هذا الكتاب. لم يكن أولئك الروّاد يمتلكون طبعة جاهزة تقليدية للنجاح. وكما أنه لم يكن أمامهم طريق واحد فقط يقودهم إلى النجاح كذلك نحن. إن كل طفل يتمتع بصفات أصيلة؛ وهو الوحيد من نوعه على هذا الكوكب بتلك الصفات التي يحملها أو بدربه الخاص الذي يسلكه. والتميّز في شخصيته هو مفتاح نجاحه وتحقيق أفضل ما لديه. إنني كلي أمل أن تكون سير العظماء والرواد دافعاً للأهل والأولاد على حد سواء. فكل قصة مختلفة عن الأخرى وكل مشارك بقصته مختلف عن الآخر، حتى إن أساليبهم في الكتابة ووجهات نظرهم تختلف بين واحد وآخر، ولكن يبقى هناك شيء واحد يجمعهم هو أنهم كلهم فرائد في فكرهم وروحهم وشخصيتهم.

هل هناك عامل واحد أو عدة عوامل متشابهة ساعدت أولئك المبدعين على تحقيق نجاحهم؟ ما هو مفتاح نجاحهم؟ هل يوجد تشابه في نظام الدعم والمؤازرة التي تلقوها؟ هل حظوا بأمهات أقوياء وآباء متفانين كرسوا حياتهم لأجلهم؟

يمكنك أن تفسّر كل قصة من تلك القصص على هواك وأن تستخلص منها نتائجك الخاصة. ومع الوقت سترى ابنك أو أي ولد

آخر تعرفه في أي قصة. كما أنك ستكتشف نفسك مع الوقت. الشيء الوحيد الذي أنا متأكدة منه أن المساهمين بقصصهم قد واجهوا الكثير من العقبات واستطاعوا التغلب عليها والنجاح الذي حققوه نتيجة العمل الشاق والتصميم والإصرار على سبر أغوار موهبتهم الفريدة.

لقد شاركوا في هذا الكتاب لينقلوا إلينا ما تعلموه خلال رحلتهم في الحياة، ولينقلوا لأهلهم ومعلميهم ولمن ساعدوهم في مسيرتهم فكرتهم الخاصة حول الأطفال بأنهم كيفما بدؤوا حياتهم فإنهم مع الدعم والتأييد والقبول الذي سيلقونه ممن حولهم يمكنهم أن يصبحوا جراحين عظماء وعلماء ومخترعين وقادة وأبطال رياضيين وحتى حاملين لجائزة نوبل؛ أي بعبارة أخرى أفضل «أفراد» في المجتمع. هذا ليس بالأمر السهل بالطبع ولم يكن أبداً كذلك في يوم من الأيام، ولكن يمكن تحقيقه.

يضم الجزء الثاني من هذا الكتاب قصصهم وسيرهم. إنهم ملهمون، وذوو عزم، ولكنهم - بطريقة أو بأخرى - مثلك ومثلي ومثل أولادنا. لقد كتبوا قصصهم للأهل والأبناء معاً، وهي قصص تسمح لنا بإلقاء نظرة على مسيرتهم الشخصية، وتخبرنا الكثير عن الحياة وعن العزيمة وعن الالتزام. بعض تلك القصص شخصية جداً فيها الكثير من البوح، وبعضها الآخر يعطينا لمحة لا بأس بها عن طريقة أولئك العظماء والروّاد في النظر إلى الحياة. والشيء الأبرز الذي يشع من تلك القصص هو أن كل واحد منهم فريد في فكره وروحه وشخصيته، وكل منهم يفكر خارج المألوف محلقاً خارج سربه، وكل واحد منهم كرس حياته لبلوغ التفوق الشخصي. إنني أنظر عالياً لكل واحد منهم بإعجاب وانبهار، وقد تعلمت الكثير منهم جميعاً.

لقد قصدت بكتابي هذا أن يكون مرجعاً للآباء والمدرسين وكل المحظوظين الذين يكون لديهم طفل متميّز في تفكيره وروحه وشخصيته أو يكونوا قد عرفوا أحداً مثله. وبالرغم من تحفظي تجاه استعمال كلمة «لذيذ» بمعناها الدارج في هذا الكتاب، إلا أنه أمر «لذيذ» أن تكون ذكياً، و «لذيذ» أن تكون متميزاً ومتفرداً، و «لذيذ» أن تكون مختلفاً، و «لذيذ» أن تنظر إلى العالم بمنظار تشوبه ألوان الابتكار والإبداع. تلك هي الطريقة التي ابتدأ بها بيل غيتس حياته، وتلك كانت حقيقة طفولة ستيفن سبيلبيرغ.

أجل، من الأسهل على الآباء وعلى المدرسين تربية وتعليم الطفل العادي. فعلى الرغم من أن جميع الأطفال يشكلون نوعاً من التحدي إلا أن الطفل العادي يظل أسهل من حيث التأقلم مع القالب الذي نرغب في وضعه فيه ومن حيث التدريس. فهو يتبع القطيع، فتناسبه الملابس ذات القياس العادي، ويناسبه تعلّم المنهاج العادي وهو بذلك يجعل الحياة أسهل لمن حوله. وبالنسبة لآفاقه الفكرية فهي محدودة ويمكننا التنبؤ بها. إن هذا الطفل يمثل المعيار أو القاعدة السائدة ويتطلب القليل الابتكار ومن المجهود الفكري الإضافي عند تدريسه. أما الطفل الخارج عن المألوف والمختلف في طريقة تفكيره فهو طفل ممتع ومثير، لأنه يحمل منجماً من الإمكانيات ومن الأصالة والإبداع في داخله. وعندما نضع يدنا على تلك المقدرات التي لديه، قد نكتشف أن عالماً أو باحثاً أو قائداً أو كاتباً يعيش معنا تحت سقف واحد.

إن هذا الكتاب لكل من يربي طفلاً مميزاً يدور عالمه حول النظر إلى النجوم، ويمتلئ رأسه وخياله بالكتب التي تحكي عن الديناصورات

والمستحاثات وعلم الآثار. فهو يقدم برنامجاً بديلاً للطفل الذي يحب التأمل في الحياة وملاحظة ظواهرها ويلتقط له تجارب الآخرين ويضعها بين يديه. ذلك الطفل الذي سيصبح كاتباً أو مذيع الغد. الطفل الذي يهوى التزلج ويعشق صعود القمم وهبوط المنحدرات والذي قد يربح الذهب في يوم من الأيام.

من خلال القصص والحوادث التي حدثت في طفولة أولئك الأساطير والمشاهير. الذين أسهموا في تطور العالم في مختلف المجالات من الفنون إلى العلوم. نستخلص ما الذي دفعهم وألهمهم كي يصلوا إلى ذروة نجاحهم ويحققوا كل أحلامهم الشخصية. فكل قصصهم تدل على أن الطفولة ما هي إلا لحظات في عمر الزمن تأخذ الإنسان إلى ممر يقوده إلى عدد غير محدود من الفرص والإنجازات والمغامرات.

يتألف كتاب «الأولاد الذين يفكرون خارج المألوف» من ثلاثة أجزاء.

يحدد الجزء الأول صفات الطفل المميّز المختلف عن أقرانه. وهو يوضح أهمية هذا الطفل في مجموعته. وفي مجتمعه. وفي أسرته. كما أنه يؤكد للأهل والمدرسين والمربين على ضرورة تقبل هذا الطفل واحترام كونه ليس كغيره من الأطفال الذين ينتمون لقالب واحد. وأخيراً يقدم هذا الجزء استراتيجيات الخبراء وآراءهم التي ستساعدك على استخراج أقصى طاقات وإمكانيات طفلك الكامنة ـــ تلك الصفات السحرية التي ستمكن الطفل من تحقيق ذاته بالشكل الأمثل ـــ.

يضم الجزء الذي يقع تحت عنوان «أساطير حية ومبدعون بارزون» واحد وثلاثين قصة أسهم فيها أولئك الأفراد الذين كانوا يفكرون

بطريقة مختلفة في مرحلة صباهم، والذين نجحوا عند الكبر بفضل تميّز وتفرد شخصياتهم وآرائهم.

وكل قصة أو إسهام ورد في هذا الجزء فقد كتب خصيصاً لهذا الكتاب. وقد استغرقت في بعض الحالات حوالي السنتين كي أصل إلى بعض أولئك المشاهير بسبب التزامات عملهم الكثيرة، أو بسبب بعد المسافة بيني وبينهم التي اضطرتني في بعض الأحيان للسفر في رحلات طويلة، أو بسبب آلاف الطلبات التي يتلقونها كل عام للحصول على إسهاماتهم.

وحالما كانوا يلتزمون بإسهامهم في هذا العمل، كانوا يدركون أهمية سرد بداياتهم المميزة وآرائهم لإطلاع الآباء والأطفال عليها مهما كانت صعوبة ذلك وخصوصيته. إن معظم القصص عميقة جداً وتكشف الكثير من الأمور الشخصية الخاصة وذلك بهدف إيصال فكرة أن التميّز في الشخصية والفردية والعزيمة وتقدير الذات أمورٌ أساسية وواجبة لوضع الطفل على طريق نجاحه الشخصي.

أما الجزء الثالث فهو عبارة عن دليل بأسماء البرامج الاستثنائية والجيدة بالنسبة للأطفال الذين لديهم ملكات فكرية مختلفة عن غيرهم. إذا وجدت أن طفلك يتمتع بروح قيادية فالوقت ليس باكراً كي تنمي فيه هذه الروح. وإذا اكتشفت أن طفلك يعشق المغامرات، يدلك هذا الجزء على برامج خاصة للأطفال الذين يتمتعون بروح المغامرة والاكتشاف. فهنالك عدد لا يحصى من المعسكرات والمخيمات والرحلات الاستكشافية المميزة والاستثنائية المنتشرة في كل مكان

تقريباً والتي يمكن لطفلك أن يشارك فيها. بعبارة أخرى، فإن هذا الدليل الذي نقدمه لك سيرشدك إلى المكان الصحيح الذي يمكنك أن تبدأ من عنده.

في عالم اليوم، يشعر الأطفال الذين ينساقون وراء ملكاتهم الفكرية وينجذبون نحو اهتمامات ونشاطات وهوايات تختلف عن اهتمامات ونشاطات وهوايات أترابهم بأنهم في بعض الأحيان خارج الحلقة أو النطاق الاجتماعي الذي يعيشون فيه. لذا، فإن هذا الكتاب يقدم بدائل متنوعة لا حصر لها لأولئك الأطفال الذين يتمتعون بمواهب وملكات فكرية فريدة.

ستيفاني ليرنر

obeikandl.com